الحضور الجهادي للطريقة الرحمانية في مقاومة الاحتلال الفرنسي (1830- 1962م).

The Jihadi Presence of the Rahmani Method in Resisting the French Occupation 1830 – 1962.

جيلالي عبيد[1*]، د/ سيد أحمد بن نعماني[2]

[1]جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، مخبر مناهج البحث والتقويم في العلوم الإسلامية وغاياتها (الجزائر)
dj.abid@univ-alger.dz

[2]جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، مخبر مناهج البحث والتقويم في العلوم الإسلامية وغاياتها(الجزائر)
sidi19001@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/07/03   تاريخ القبول: 2022/09/05   تاريخ النشر: 2022/12/30

ملخص:

تعد الطريقة الرّحمانية من أكبر الطرق الصوفية الرافضة والمقاومة للاحتلال الفرنسي بكل فروعها وزواياها، وضربت لنا أفضل الأمثلة في المقاومة والثبات على مبادئها وقيمها، وسنحاول بهذه الدراسة التطرق إلى الحضور الجهادي للطريقة الرحمانية ضد الوجود الفرنسي، ولعلّ أهمية هذا الموضوع تكمن في إبراز أهمية البعد الديني الإسلامي في مقاومة الشعب الجزائري للغزو الأجنبي وتمسكه بكل ماله صلة بالهوية الجزائرية والثقافة العربية والإسلامية، وإظهار مدى مشاركة الطرق الصوفية وخاصة الإخوان الرحمانيين في الكفاح ومحاولة تحرير البلاد من الاحتلال.

الكلمات المفتاحية: الطرق الصوفية، الطريقة الرحمانية، الإحتلال الفرنسي، الكفاح.

---

* المؤلف المرسل

Abstract:

The Rahmani method is one of the largest Sufi methods rejecting and resisting the French occupation in all its branches and angles, and it gave us the best examples of resistance and steadfastness on its principles and values**.** In this study, we will attempt to address the jihadist presence of the Rahmani method against the French presence.

Perhaps the importance of this topic lies in highlighting the importance of the Islamic religious dimension in the Algerian people's resistance to foreign invasion and its adherence to all its money related to Algerian identity and Arab and Islamic culture.

and to show the extent of the participation of the Sufi orders, especially the Rahmani Brotherhood, in the struggle and attempt to liberate the country from occupation.

Keywords: The Sufi Order, Rahmani Sufi Order, The French Occupation, struggle.

1. مقدمة:

"علينا أن نخلص هذا الشعب الجزائري من قرآنه، وعلينا أن نعني على الأقل بالأطفال لننشئهم على مبادئ غير التي نشأ عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا هو تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر "هذا ما جاء في رسالة بعث بها الكاردينال "لافجري" إلى الحكومة الفرنسية بالجزائر، وقد فضحت هذه الرسالة النوايا الفرنسية في تنصير المجتمع الجزائري ومحاولته تغيير هويته التي ورثها عن أجداده.

إلا أن يد الاحتلال قصيرة ولم يتسن له تحقيق مراده، وذلك بعد المقاومة التي لقيها من طرف الشعب الجزائري، ولاسيما الطرق الصوفية التي كانت منتشرة في كل ربوع الجزائر من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، ونجد أنّ التاريخ سجل لكثير من الطرق الصوفية مواقف لا تنقصها الشجاعة إزاء مواجهة الاستعمار الفرنسي ووقفات مشرفة في صفحات الجهاد الجزائري.

وقد أولت السلطات الاستعمارية اهتماما بالغا ومنقطع النظير بهذه الطرق الصوفية، ففي البداية عملت على إغرائها بالمال والسلطة الوهمية، ثم بترهيب الرافضة منها اللحاق بالركب الاستعماري والموالاة للسلطة الفرنسية.

ومن بين أكبر الطرق التي كان لها موقفا مشرفا ودورا بارزا في ثورة الجزائر الطريقة الرحمانية، التي ظهرت في القرن 18م، وتفاعل معها المجتمع الجزائري وازداد نشاطها خلال القرن 19م، وتعد ثورة الطريقة الرحمانية عام 1871م من أشرس الثورات وأكبرها على مستوى الجزائر، حيث امتدت من منطقة ورقلة جنوبا إلى البحر شمالا وصولا إلى مدينة شرشال غربا وحدود تونس شرقا، وكانت من الطرق السباقة إلى حمل السلاح والانتفاض في وجه المستعمر، وهذا ما صرح به الضباط الفرنسيين المعاصرين لتلك الأحداث.

أهمية وأسباب اختيار الموضوع:

أولا: تكمن أهمية البحث في كونه يذكر ويتناول حقبة تاريخية من تاريخ الجزائر والمتمثلة في الحقبة الاستعمارية، وما انجر عنها من نتائج على الشعب الجزائري المسلم.

ثانيا: محاولة تبرئة بعض الطرق الصوفية من تهمة العمالة المنسوبة إليها زورا وبهتانا.

ثالثا: التعرف على التاريخ المجيد للأمة الجزائرية وإحياء ذكرى أبطالها.

رابعا: محاولة ربط جسور التواصل بين ماضي وحاضر هذه الأمة.

أهداف البحث:

فمن خلال هذه الدراسة سنحاول تسليط الضوء على أشكال مقاومة الطريقة الرحمانية للاحتلال الفرنسي، والدور الجهادي الذي لعبته الطريقة في هذه الحقبة الزمنية العصيبة من التاريخ الجزائري، والتعرف على أهم قادتها العسكريين، وإثبات البعد الديني للثورة الجزائرية.

الإشكالية:

من أجل الوصول إلى المبتغى المنشود من هذا البحث سنحاول الإجابة عن الإشكالية القائلة: فيما تمثلت أشكال مقاومة الطريقة الرحمانية للاستعمار الفرنسي والدور الجهادي الذي لعبته الطريقة خلال فترة الاحتلال الفرنسي؟

منهجية البحث:

ولمعالجة الإشكالية ومحاولة الوصول إلى أكبر قدر من النتائج اعتمدنا على الخطة التالية:

أولا: مقدمة.

ثانيا: أصول الطريقة الرحمانية ونشأتها في الجزائر.

ثالثا: أشكال مقاومة الطريقة الرحمانية للاحتلال الفرنسي.

رابعا: الرد الفرنسي على الزوايا.

خامسا: خاتمة.

المنهج المتبع:

لدراسة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي، وهذا من أجل الوصف الدقيق للأحداث والوقائع التاريخية، ومحاولة إعطاء نظرة شاملة لأدق التفاصيل، كما اعتمدنا أيضا على المنهج التاريخي التحليلي، الذي حاولنا من خلاله تحليل بعض الروايات التاريخية ونقدها وإثبات صحتها من عدمها للوصول إلى أكبر نسبة من أحقية ومنطقية الأحداث والروايات وتطابقها معا، كما التزمنا بسرد الأحداث حسب تسلسل وقوعها في الزمن وهي كلها مناهج تناسب الرواية التاريخية.

الدراسات السابقة: هناك العديد من الدراسات تناولت هذا الموضوع، وإن لم يكن جملة فتناولته جزئيا ولعل أهم هذه الدراسات:

- كتاب بعنوان: "ثورة الباشاغا المقراني والشيخ الحداد 1871م"، لمؤلفه يحي بوعزيز وله أيضا كتاب آخر بعنوان: "كفاح الشعب الجزائري من خلال الوثائق"، نشر من طرف المؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر سنة 1986م.

- كتاب: "دور الطريقة الرحمانية في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية 1919-1962م" للدكتور محمود بوكسيبة بن علي، ومن إصدارات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف – الجزائر- سنة 2015م، وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب فترة وجيزة فقط من تاريخ الطريقة الرحمانية وامتدت هذه الفترة من 1919م إلى غاية الاستقلال ولم تتناول الدراسة كل فترة الاستعمار.

- كتاب: "محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية" لبسام العسلي، نشر من طرف دار النفائس في لبنان بطبعتين طبعة أولى سنة 1982م وطبعة ثانية سنة 1990م.

2.أصول الطريقة الرحمانية وانتشارها في الجزائر:

ترجع أصول الطريقة الرحمانية إلى الطريقة الخلواتية، وقد انطلقت الطريقة الخلواتية من خراسان كطريقة دينية مرابطة وجهادية وعلمية، ثم انتشرت في الشام على يد الشيخ عمر الخلواتي، بعدها نقلت إلى الجزائر على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشطولي وسميت تيمنا باسمه بعد وفاته.

فمؤسسها في الجزائر هو الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن أبي القاسم بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين بن طلحة بن جعفر بن محمد العسكري بن عيسى الرضا بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد بن عبد الله بن حمزة بن إدريس، ويصل نسبه إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا ما هو مكتوب في لوح معلق في محراب ضريحه قرب الحامة بالجزائر العاصمة،[1] وهو أول من جاء بها للمغرب العربي.[2]

وقد قام بتأسيس أول زاوية له في الجزائر سنة 1764م بمنطقة "آث إسماعيل"، ثم انتشرت في كامل ربوع الوطن وأصبحت من أوسع الطرق انتشارا وأكثرها إتباعا ومريدين، ويظهر ذلك طبقا للإحصائيات التي قدمها كل من "كوبولاني" و"ديبيبون" التي تعود إلى سنة 1897م، إذ قدرت بأن عدد الزوايا بالجزائر بلغ 349 زاوية، من بينها 177 زاوية خاصة بالطريقة الرحمانية أي ما يفوق 50 % من مجموع الزوايا، حيث كانت منتشرة في كل من بلاد القبائل والجنوب الجزائري،[3] وربما أهم ما كان يميز الطريقة الرحمانية في ذلك العصر هو فتحها المجال للمرأة من أجل الالتحاق بزواياها وحتى في بعض الأحيان تولت المرأة في هذه الطريقة رئاسة الزاوية، ومن أبرز النساء اللائي تولين شؤون الزاوية لآلة خديجة نيابة عن الشيخ الحاج البشير، وما يميز هذه الطريقة أيضا خلوها من مظاهر الشرك والشعوذة وكل ما ينافي العقيدة الإسلامية الصحيحة، وكان من تعاليمها العزلة وكثرة الصيام والذكر والصلاة.[4]

بعد وفاة المؤسس عبد الرحمن الأزهري شيخ الطريقة بدأ الانشقاق يدب في صفوف الزاوية، إذ عمد الطلبة المريدين إلى إنشاء فروع للزاوية كل حسب انتمائه الجغرافي، لكن مع

بقائهم محافظين على المبادئ الكبرى للطريقة الرحمانية،[5] وأبرز الفروع التي تشكلت وتفرعت من الزاوية الرحمانية:

– زاوية الشيخ عبد الرحمن باش تارزي:[6] التي أسسها الشيخ الحاج بن عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة باش ترزي بقسنطينة بأمر من شيخه عبد الرحمان الأزهري في نهاية القرن 1778م.[7]

– زاوية الشيخ محمد الصادق بن طاهر بن بلقاسم بن بلحاج بالأوراس.

– الزاوية العثمانية بطولقة: والتي أسسها الشيخ علي بن عمر الطولقي سنة 1780م.

– زاوية الهامل القاسمية بالمسيلة: أسسها محمد بن أبي القاسم الهاملي سنة 1862م، وقد كانت اللبنات الأولى لهذه الزاوية قبل سنة 1845م، في بيت الشيخ الكائن برحاب المسجد العتيق في قرية الهامل، وذلك في فترة مقاومة الأمير عبد القادر.

– الزاوية العزوزية: أسسها الشيخ محمد بن عزوز البرجي، الذي عمل بوصية شيخه عبد الرحمان الأزهري، حيث أمره باللحاق بالشيخ عبد الرحمان باش تارزي بقسنطينة وتلقي العلوم عليه بعد وفاته، وبعد أن تلقى العلوم وتتلمذ على يد الشيخ باش تارزي عاد إلى موطنه، وأسس زاويته المعروفة بالزاوية العزوزية بطولقة في بسكرة أواخر القرن 18م.[8]

ويقول الشيخ مصطفى باش تارزي في شرحه للمنظومة المسماة بالمنح الربانية: "أنه لم يكن لهذه الطريقة ذكرا بالأرض المغربية، وإنما جاء بها الشيخ الإمام خاتم المربين، ووساطة الأئمة العارفين، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القشطولي الزواوي الأزهري مجاورة حين رحل من وطنه إلى مصر، قاصدا تحصيل علم الشريعة والحقيقة".[9]

3.أشكال مقاومة الطريقة الرحمانية للاستعمار الفرنسي:

1.3. المقاومة العلمية:

إن أول شغل شاغل للسلطة الفرنسية بعد القضاء على المقاومة الرسمية في الجزائر تمثل في إقصاء الدين الإسلامي واللغة العربية وكل ما له صلة بهما، فقد عمدت إلى تدمير المساجد وتحويلها إلى إسطبلات للحيوانات، ولعل أبرز مثال على ذلك مسجد "كتشاوة" بالجزائر العاصمة، الذي استشهد داخله 4000 جزائري ثم حول بعد ذلك إلى كنيسة فرنسية، والرسالة التي بعث بها "لافيجري" إلى الحكومة الفرنسية بالجزائر خير دليل يدين الاستعمار وسلطته القمعية، فلولا لطف الله بالجزائر ووجود هذه الزوايا في كامل الربوع الوطني، لكانت اليوم الجزائر ربما أصبحت مسيحية، فقد كان لمشايخ الطرق الصوفية الدور الكبير في إحياء شعائر الإسلام والتصدي للتنصير الفرنسي، إذ أن الأساس التي أنشأت عليها الزوايا هي قاعدة علمية، تمثلت في كتاب الله وسنة نبيه وكتب الفقه، وقد كانت الطريقة الرحمانية على رأس هذه الطرق إذ يصفها "لويس رين" بأنها أكبر الطرق عداوة لفرنسا، حيث وضع كتاب شامل سماه "المرابطون والإخوان" وأخرجه سنة 1884م، ويعتبر "لويس رين" من الخبراء البارزين في الإدارة الأهلية الفرنسية، كما وصفه أبو القاسم سعد الله بقوله: "فهو ضابط تقلد في مختلف الوظائف في الجزائر، فعرف القبيلة والمسجد والزاوية، وعرف سكان المدن والريف، وعرف نبلاء السيف ونبلاء السبحة والعلم".[10] فمن خلال هذا الوصف تظهر لنا جليا سياسة فرنسا تجاه المجتمع الجزائري، إذ قلدت الضباط العسكريين مختلف المناصب والرتب ليكونوا عيونا وجواسيس، ويمثلوا مكتب للاستخبارات العسكرية الفرنسية، وذلك من خلال مخالطة الشعب البسيط وتقلد المناصب، مما يجعلهم بمقربة وإطلاع دائم على الأحداث، والتعمق في دراسة أحوال وطباع المجتمع الجزائري، فكما وصفه سعد الله بأنه عرف نبلاء السيف ونبلاء السبحة والعلم، أي أنه أصبح مطلع على أحوال المجتمع بكل تفاصيله.

وقد كانت أولى أولويات الطريقة الرحمانية تحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية والسيرة النبوية، وكانت مؤسسة دينية، تستقطب العلماء والطلبة من كل الجهات وكانت تقارير الاحتلال تشير إلى أن عدد الطلبة في زوايا الطريقة الرحمانية بلغ حوالي 156 ألف طالب، من بينهم 13 ألف امرأة من المريدين ينتمون إلى الطرق الصوفية، وهذا في مقاطعة الجزائر فقط، أي ما يعادل نسبة 32 % من جميع الطرق الصوفية،[11] كما أن تلك الإحصائيات التي سبق ذكرها أشارت إلى كون زوايا الطريقة الرحمانية تشغل ما نسبته 50 % من مجموع عدد الزوايا في الجزائر سنة 1897م، وقد كانت معظمها منتشرة في بلاد القبائل والجنوب الجزائري وحتى خارج الجزائر كالموجودة في تونس، وبهذا الصدد يقول "أوكتاف ديبيبون" وهو المفتش العام للبلديات المختلطة بالجزائر في سنة 1917م: "إننا سلفا نجد دائما يدا مرابطية، يعني طرقية وراء كل هذه الانتفاضات التي يقوم بها الأهالي ضدنا"، ويضيف قائلا: "وأوسعها انتشارا الطريقة الرحمانية وتضم حوالي 156 ألف عضو منهم 13 ألف إمرة".[12]

والمتتبع لتاريخ الطريقة الرحمانية سيلاحظ أن تعاليمها لقيت إقبالا كبيرا من عوام الناس قبل خاصتهم، وزاد عدد أتباعها لسهولة تعاليمها ويسرها وخلوها من كل مظاهر الشرك والشعوذة، وغيرها من الأمور المنافية للعقل والمنطق وتعاليم الدين الإسلامي،[13] وهذا ما جعلها قلعة حصينة من قلاع الإسلام والعروبة، وقد درّست حتى العلوم العصرية، كعلم الفلك والرياضيات وغيرها، وقد كان يتم التعليم في إطار نظام داخلي للطلبة، وهو أشبه ما يكون بنظام الإقامات الجامعية اليوم، إذ كانت الزاوية توفر لهم مراقد وكل ما يلزم من مأكل ومشرب، بل وفي بعض الأحيان تقدم لهم حتى منحا مالية من أجل تحسين معيشتهم.[14]

وقد جاء في تقرير قدمه السيد "كومب" لمجلس الشيوخ في 02 فبراير 1934م، ما يلي: "كان التعليم العالي يشمل في أرض الجزائر جمعا غفيرا من الناس المتعطشين للعلم والمعرفة، يجلسون حول شيوخ وعلماء محترمين لا يتلقون عنهم علوم الشريعة وقوانينها فحسب، بل يتلقون أيضا علوم الرياضيات والأدب والهيأة، فكانت نتيجة انتصار أسلحتنا أن تفرّق الشيوخ والطلبة، واضمحل التعليم العالي الذي كان سائدا"،[15]وهذا إن دلّ على

شيء إنّما يدل على مدى الضرر الذي أحدثه الاستعمار بالتعليم في الجزائر إبان فترة الاحتلال، فكما يشير إليه التقرير فقد اضمحل التعليم بصفة تكاد تكون نهائية.

2.3. المقاومة الاجتماعية:

أما على المستوى الاجتماعي فقد كان للطريقة الرحمانية في الجزائر دورا فعالا ونافذا في المجتمع، إذ وقفت في وجه الغزو الفرنسي، الذي عمل على استبدال القوانين الإسلامية بالقوانين الوضعية الفرنسية، وإنشاء مكاتب للحالة المدنية، ومحاولة تجنيس الجزائريين بالجنسية الفرنسية مقابل تخليهم على الفقه الإسلامي وأحكامه، لقد كان شيوخ الزوايا دائما ما يتدخلون في الإصلاح بين الناس، والعمل على فض النزاعات ولم شمل الأهالي الجزائريين قبل لجوئهم إلى السلطة أو القضاء الفرنسي، من أجل تجنب احتكاك الجزائريين بالقضاء الفرنسي وقوانينها الوضعية، كما كان للطريقة الرحمانية فضلا كبيرا في إيواء الأيتام وعابري السبيل ومن تقطعت بهم الأسباب أو المطاردين من قبل السلطات الاستعمارية، وفي هذا الصدد يقول الشيخ مصطفى بن عزوز واصفا ما كان يراه من شيخه علي بن عمر: "وقد حضرنا للألف والألفين وأكثر تأتينا فلا نظن أن تبيت عنده هذه الألوف ليلة واحدة فمعاذ الله بل كانت تنتهي أول النهار فلا تجدها آخر النهار إلا وقد بذل لهم العطاء، وكان حتى يقضي دينهم ويكرم ومأواهم وكان يأتيه الذهب السلطاني فيشتري به تينا ويطعم عابري السبيل والزوار بعد طلوع الشمس إلى الزوال، وفي بعض الأحيان حتى قرب صلاة العصر، وهو يخرج الأكل بيديه مع كبر سنه".[16]

كما كانت زاويا الطريقة الرحمانية مركزا للمجاهدين خلال حرب التحرير الوطني، إذ نجد على سبيل المثال لا الحصر الزاوية العثمانية التي تفرعت من الزاوية الرحمانية بولاية بسكرة التي اتخذها العقيد سي الحواس مركزا له يأوي إليها إذا اشتد عليه الأمر،[17] كما نجد أيضا الزاوية القاسمية بمنطقة الهامل بولاية المسيلة، والتي عملت على ربط علاقة وطيدة مع المجاهدين منذ البداية، فقد كان لها اتصال مباشر مع الشيخ الحداد والمقراني والشيخ بوعزيز المضاوي.

ويصفها أيضا توفيق المدني بأنّها معقل العروبة والإسلام، وجداره المنيع الذي وقف في وجه الغزاة، ليس الفرنسيين فقط بل وحتى الذين كانوا من قبلهم،[18] كما خصصت زاوية الهامل القاسمية بالمسيلة نوعين من الأنظمة التعليمية، الأول خاص بعامة الشعب، وهو عبارة عن دروس ومحاضرات في الساحات العامة، حيث كانت تدعو الشعب إلى التمسك بدينه الإسلامي، ومقاومة الأفكار الغربية والثقافة الفرنسية، بعض الأحيان كانت تدعو إلى حمل السلاح ضد القوات الاستعمارية والجهاد في سبيل الله، أما النوع الثاني كان نظام تعليمي مضبوط، مثلها مثل بقية الطرق والزوايا وتمثل في تعليم الطلبة بصفة دائمة ومنتظمة، وتدرج في العلوم، كما قامت الزاوية بإنشاء جريدة، كتعبير عن حب الوطن وكان لها طابع سياسي، وأصدرت أعدادها الأولى باسم جريدة المحافظة، ثم غيرت إلى جريدة الروح، وصدرت بلغتين العربية والفرنسية، كما قامت بتأسيس جمعية المحافظة، مهمتها خدمة الثقافة العربية والشريعة الإسلامية.[19]

3.3. المقاومة الدينية:

الظاهر مما جاء في صحيفة البلاغة التابعة للزاوية العلوية أن الزوايا كانت واقفة في وجه المستعمر بالمرصاد، من أجل المحافظة على ثوابت الأمة الجزائرية من الدين الإسلامي واللغة العربية، ومما جاء في هذه الصحيفة: "لسنا ندفع الباطل بالباطل ونرد السيئة بمثلها، ولكننا نقذف بحقنا على باطلهم فيدمغه فإذا هو زاهق، ولكن الويل مما تكذبون".[20] ومن هذه المقالة يتضح لنا بأن الجزائريين كانوا على مستوى كبير من الوعي والإدراك بما يحاك ضدهم من طرف السلطة الفرنسية، وقد رد المسلمين الجزائريين الهدية المسمومة لصاحبها، فقد كانت فرنسا تبني المدارس فلا تجد لها تلاميذ من العرب المسلمين وتنشئ المستشفيات لكن الأهالي يفضلون الموت على التداوي والعلاج عند العدو، لقد كان الدين الإسلامي كالإسمنت المسلح الذي يحمي البيت من التفكك والاندثار، ورغم كل الإغراءات التي قدمتها فرنسا رفض الشعب الجزائري الاستسلام والخضوع، وآثر التمسك بدينه ولغته على متاع الغرور المقدم من طرف المستعمر.[21]

ومع المراقبة الشديدة للزوايا والمساجد جاء في تقرير مقدم من طرف المكتب العربي بقسنطينة خلال شهر جويلية 1852 ومما جاء فيه أن الزوايا والمساجد تشكل موضوع مراقبة ويقظة شديدة في أوساط التجمعات المقامة من طرف عناصر تلك المؤسسات الدينية، ومنها تنشأ الدسائس وترتل الآيات القرآنية الداعية إلى الجهاد والكفاح ومقاومة العدو،[22] وتشير هذه التقارير إلى دراسات متخصصة من الشريحة المثقفة الفرنسية والحاكمة أيضا، ونجد من أهم الكتب والمؤلفات كتاب "بلاد القبائل" لمؤلفه "هانوتو" و"لوت هارنو"، وكتاب "لويس رين" المسمى "مرابطون وإخوان" هذا الكتاب هو ذروة اهتمام السياسة الاستعمارية بالطرق الصوفية والزوايا في الجزائر.[23] كما أصدر وزير الداخلية الفرنسي "شوطان" *(Shotan)* قرار يقضي بمنع التعليم العربي واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ولا يمكن تعليمها إلا بترخيص،[24] وكانت منطقة القبائل من أهم المناطق التي ركزت عليها السياسة التبشيرية، وربما ذلك راجع إلى المقاومات التي خاضتها المنطقة والانتشار الواسع للزوايا فيها، ولا سيما زاويا الطريقة الرحمانية، التي كان لها حصة الأسد من الزوايا، فقد استعانت السلطات الفرنسية بفرقة الآباء البيض، والتي وصلت إلى منطقة القبائل في 13 فيفري 1873م، وقد أولى "لافيجري" اهتماما خاصا بالمنطقة، مغطيا على أعماله التبشيرية بغطاء المساعدات الإنسانية كالإطعام والعلاج،[25] وتقول بعض الروايات بأنه كان يحمل الخبز في يد والصليب في اليد الأخرى، ويقول إما أن تأخذهم معا أو تتركهما معا، وكان يقصد بالخبز والصليب بمعنى الخبز مقابل التنصير، مستغلا الفاقة والحاجة التي كان يمر بها الأهالي الجزائريين حينئذ خاصة الأطفال الصغار الذين يسهل إغراءهم، ومما جاء أيضا في تقرير "ديكور سيل" وزير التربية والتعليم في الجزائر: "لا يمكن للجزائر أن تكون فرنسية إلا إذا أصبحت مسيحية"، كما يضيف ديكور قائلا: "إنه لمشهد جميل أن نرى هؤلاء المتدينين إخوان لنا في العقيدة، وهم يخلقون على أنقاض الزوايا الإسلامية تأثيرا ثقافيا وسط السكان بحيث يفهمون لغتهم، ويعملون على التأثير فيهم"،[26] فمن خلال كل هذه التقارير والمراسلات تظهر حقيقة الغزو الفرنسي للجزائر، وهو تنصير شعبها والقضاء على الدين الإسلامي فيها، بل وحتى في إفريقيا كلها فقد مثلت الجزائر الجدار الذي تحطمت عليه آمال

الأوروبيين في احتلال إفريقيا لعدة قرون من الزمن، فبعد سقوطها توالت الدول الإفريقية في السقوط واحدة تلوى الأخرى، وفعلت دول أوروبا في القارة السمراء الأفاعيل، ومازالت تعاني من عواقبها إلى اليوم، فهناك دول غير دينها إلى يوم الناس هذا من الإسلام إلى المسيحية، أما عزيمة وإيمان الجزائريين فكانا أقوى من الحديد والنار الذي جاءت بهما فرنسا، حيث قامت الطرق الصوفية بنهضة إسلامية حديثة، كما أسماها المؤرخين إذ يقول عبد الرحمان الجيلالي: "إن الإسلام نهض نهضة ثالثة من سنة 1750م إلى سنة 1901م وقد نهض هذه المرة على أيدي مشايخ الطرق والإخوان"، ويضيف المؤرخ والعسكري الفرنسي "لويس رين" في شأن النهضة الإسلامية الحديثة قائلا: "وتأتي قوة هذه الحركة الإسلامية من تعدد الطرق الصوفية التي وجدت من أول هذا القرن، وعظم شأنها في جميع الأنحاء وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس".[27]

ويضيف "لافجري" في رسالة له إلى وزير الشؤون الدينية، بعد تعيينه "كردينالا"، قائلا: "إني الوحيد الذي أبديت اهتماما بنشر المسيحية وسط العرب، وقد كانت ولازالت لي علاقة طيبة مع مسيحي المشرق العربي، وهؤلاء يجب استدعائهم إلى الجزائر"،[28] ويضيف في رسالة ثانية إلى رهبان الجزائر يوم 5 مايو 1867م، قائلا: "سآتيكم إخواني في ساعة مشهورة لتاريخ إفريقيا المسيحية، إنّ كنيسة فرنسا تعمل على إحياء الماضي"، ومن هذه الرسالة تتضح الأمور أن فرنسا أرادت أن تجعل الجزائر بوابة إفريقيا، من أجل تنصيرها واستيطانها، ودمج شعبها مع الشعب النصراني، ولا يكون ذلك بالإدماج الاجتماعي، بل لا يكون إلا بالإدماج الديني والتبشيري، ولكن وجدوا أنّ القرآن والإسلام هم أشد أعداء المسيحية.

4.3. المقاومة العسكرية:

1.4.3. ثورة المقرآني:

إنّ عائلة المقرآني عائلة عريقة ضاربة جذورها في التاريخ، إذ يعود نسبها إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، ولقد كان لهذه العائلة الدور الكبير في تخليص تلمسان من السيطرة الإسبانية، حيث شكلت حلفا مع الأخوين عروج وخير الدين بربروس، كما شارك أحمد المقرآني مع أحمد باي في مقاومة الاحتلال الفرنسي عند بداية الغزو على الجزائر، مما جعل أحمد باي يعينه شيخا على منطقة مجانة، وقربه منه ثم خلفه بعده ابنه محمد المقرآني، وكان ذلك بعد سقوط قسنطينة في أيدي الاحتلال، إلا أن فرنسا بعد سقوط أحمد باي أقرت محمد المقرآني في منصبه وعينته "باشاغا" على منطقة الشرق، لكنه لم يسلم من مضايقاتها خاصة بعد قانون "كريميو" الذي يقضي بتجنيس اليهود، إذ وجه رسالة إلى السلطات الفرنسية شديدة اللهجة، كانت بمثابة إعلانه التمرد ضدهم، وكان نصها كالتالي: "لا أطيع أبدا يهوديا، وإذا كان جزء من بلادكم وقع تحت أيدي يهودي، فقد انتهى الأمر، وسأضع عنقي بسرور تحت السيف ليقطع رأسي، أما تحت إمرة يهودي فلن يكون ذلك أبدا، وإني أعطيت كلمة شرف للحاكم العام، ولكني لم أعطها للحاكم الذي خلفه، وهو النظام المدني"، والمتمعن في هذه الرسالة يستنتج العصيان والتمرد الظاهر والمباشر والتهديد بذلك جليا.[29]

إلا أنّ فرنسا لم تعره أي اهتمام، بل وزادت من استفزازه بأخذهم لبعض أراضيه وجعله يدفع الضرائب التي يجمعها إلى الخزينة العامة للسلطة الفرنسية بدل أن يتركها عنده كما كان يفعل، من أجل أن يقوم بتسيير شؤون منطقة حكمه، ومما زاد من تأزم الوضع قيام الحكم المدني وسوء الإدارة الفرنسية، إذ أن الحكام تغيروا مع تغيير النظام، والحكام الجدد لم يكونوا ليحفظوا مكانة المقرآني، وهذا ما يظهر من خلال الرسالة التي وجهها إلى "الكابتن أوليفي"، قائلا فيها: "كيف تريدون مني أن أخدم حكومتكم، إنني لا أعترف بجمهوريتكم، لأنّها منذ أن أعلنت وأنا أرى أشياء فظيعة، فأنت حاكم أعلى لمدينة البرج، ولكن أرسل لها

رئيس جديد لقيادة الكتائب وحارس مدني ليراقب إدارتك فإلى أين أتوجه أنا؟ إليك أنت؟ أم إلى الرئيس الجديد؟ أم إلى الحارس المدني؟، وفي الوقت الذي كنا نحن مطيعين لكم عوضتمونا بـ"المركانتية" والتجار الأغنياء واليهود، أنا لا أقبل هذا أبدا"، وكانت هذه الرسالة بمثابة رسالة استقالة، إلا أنّ المفتش الإداري "روستان" أجاب الشيخ المقراني بجواب مستفز، وتمثل هذا الجواب في أنّ "روستان" طلب من الشيخ المقرآني كتابة رسالة استقالة أخرى، واشترط عليه خلال فترة انتظار قبول رسالته أو رفضها البقاء مسؤولا عن كل ما يحصل في عمالة قسنطينة،[30] وغالب الظّن أن هذا القرار كان يحمل في طياته معنين مخفيين، وهما إما أنّ "روستان" متخوف من قيام المقراني بالثورة والتمرد ضد السلطة الفرنسية بعد استقالته، أو يريد من هذا القرار إحداث فوضى خلال فترة انتظار المقرآني لصدور قرار قبول استقالته من عدمها، وبهذا يتهموه بإحداث الفوضى ومحاولة زعزعة الاستقرار في المنطقة، وضرب المصالح الفرنسية، وبالتالي إدانته وسجنه أو حتى إعدامه للتخلص منه نهائيا.

والملاحظ هنا أن الشيخ المقرآني كان أذكى منهم وتفطن للحيلة المدبرة ضده وكان حازما في الرّد عليه، إذ أخبره بأنه قد كتب رسالة استقالته إلى الماريشال "مكماهون"، وأنّه قد قبلها منه وانتهى الأمر، ولم يعد مسؤولا عن المنطقة، ولا عما يحدث فيها، كما قام بقطع خط الهاتف الرابط بين مجانة والبرج لقطع الاتصال بهم ودعا في نفس اليوم إلى اجتماع جميع شيوخ آل مقرآني وعشائرهم، وقرر التخطيط لبدء الثورة، ومما جاء في هذا الاجتماع أن يزحف المقرآني بنفسه على مدينة البرج يوم 16 مارس في حين يتجه أخوه بومزراق إلى صور الغزلان، بينما يلحق بهم ابن عمهم السعيد بن داوود إلى منطقة البرج لدعمهم، وقد تم ذلك بالفعل، إذ حاصر المقرآني مدينة البرج صبيحة يوم 16 مارس وبدأ القتال فورا، ودام الحصار أربعة أيام من دون نتيجة تذكر، وفي اليوم الرابع بدأت قوات الدعم الفرنسية تتوافد إلى مدينة البرج، وتمّ فك الحصار على المدينة، أما المقراني فقد انسحب واستقر بجيشه في جبل أم الريصان في مجانة، وعمل على تنظيم صفوفه ومحاولة توسيع نطاق الثورة وتعميمها، وقد بدأ في إرسال الوفود إلى المناطق الأخرى، إلا أن معظم مساعيه باءت بالفشل، إذ رفض اقتراحه من طرف معظم الشيوخ الآخرين، ومنهم من عارضوه، بل وحتى طلبوا الإذن بقتاله من بينهم أولاد بن بوضياف قائد صحاري بسكرة.[31]

رغم فشل المقرآني في استمالة رؤساء العائلات الكبيرة والباشاوات، إلا أنه تمكن من كسب عائلة الحداد، وهذا ما يعتبر نصرا كبيرا لدبلوماسيته، لما للشيخ الحداد من مكانة لدى أتباع الطريقة الرحمانية من سكان جرجرة والبابور وحوضي وادي الساحل ووادي الصومام، أما في مركز القيادة الفرنسية بالعاصمة فقد بلغهم صدى ثورة المقرآني، وما ينظم له مما جعلهم يعينون الجنرال "سوسيي" على رأس كتيبة عسكرية تتكون من 5000 جندي للقضاء على هذا التمرد حسب زعمهم فتوجهت هذه الكتيبة إلى منطقة سوناف، وقام بإحراق كل منازلها وهدمها، وهذا ما أدى إلى التحاق عائلات أخرى بالشيخ المقرآني، من أمثال أولاد عبد السلام وأولاد عبد الله وأولاد بن قندوز، بعد هذا الاتحاد توجه الشيخ المقرآني إلى جبل موقرنين بصور الغزلان، الذي أصبح أكبر معسكر للثوار، فكان يعقد المقرآني اجتماعاته مع الإخوة الرحمانيين وجميع رؤساء القبائل، ثم بعد أيام من مكوثه في جبل موقرنين سار إلى مدينة البويرة على رأس جيش قوامه 4000 جندي، وقام بمحاصرتها يوم الاثنين إلاّ أنه علم بقدوم القوات الفرنسية من الجزائر العاصمة بقيادة "سيريز" لدعم البشاغا بوزيد في مدينة البويرة، مما جعله يتراجع إلى قرية أبو شريف ويفك الحصار عن مدينة البويرة، ومن قرية بوشريط توجه إلى كدية المسدور وهذه منطقة وعرة المسالك يصعب على الجيش الفرنسي التحرك فيها أو وصول الإمدادات إليها، وكان هذا الاختيار من أجل المعركة الفاصلة مع الجنرال " سيريز، وفي يوم 05 ماي وصلت القوات الفرنسية إلى المنطقة وعسكروا في مكان قريب، ثم عملت على محاصرة المقرآني رغم صعوبة التضاريس، وفي ظهر ذلك اليوم عندما كان الثوار يؤدون صلاة الظهر ويؤمهم الشيخ المقرآني تسلل مجموعة من الجنود متخفين في زي جيش المقرآني أثناء فترة الصلاة مستغلين نقص الحراسة، في تلك اللحظات تقدموا حتى بلغوا المعسكر وقاموا بإطلاق النار على الشيخ المقرآني، وأصيب بثلاث طلقات نارية في رأسه وأردي شهيدا وهو يؤدي شعيرة الصلاة، وكان استشهاده بسرعة بعد 51 يوما من بداية ثورته، إلا أنه تمكن من كسر حاجز الخوف من الاستعمار الفرنسي، وقام بتوحيد صفوف الجزائريين، وعمل على وضع اللبنات الأولى لثورة عارمة ستشهدها البلاد.[32]

2.3.3. ثورة الحداد:

يعود الموطن الأصلي لعائلة الحداد إلى جبال جرجرة في منطقة غير بعيدة من قرية "أقبو" الحالية بولاية بجاية، أما الاسم المتوارث في هذه العائلة فقد اكتسبته من مهنتها المتمثلة في الحدادة، فبعد أن نفت السلطات الفرنسية شيخ الطريقة الرحمانية الحاج عمر تسلم الشيخ الحداد المشيخة، وبسط سلطته الروحية على كل المناطق الغربية والتي شملت جبال البابور وحوض الصومام وجبال جرجرة وحوض الحضنة إلا أنه بعد استشهاد الشيخ المقرآني الذي كان قد طلب العون من آل الحداد كان الشيخ الحداد طاعنا في السن ورأى أنه غير قادر على تولي هذه المهمة فقرر إعلان خلافة ابنه محمد، وكان هذا على مرأى ومسمع من المقدمين المجاورين وشيوخ المناطق بعد الاتصال بهم ومشاورتهم، ودعوتهم لحضور هذا المجلس، وبعد تولية محمد الحداد المشيخة بدأ في العمل على التحضير للثورة، والتجهيز لها بكل الوسائل الممكنة، وأولها إرسال البعثات إلى المناطق الأخرى محاولا حشد أكبر عدد ممكن من الجزائريين وبعد هذا الإعلان توافد الناس من منطقة القّل شرقا إلى مدينة شرشال غربا ومن باتنة وبوسعادة جنوبا، حيث شملت ثلث الجزائر تقريبا.[33]

وفي أقل من شهر جمع الشيخ الحداد حوالي 12 ألف محارب وبعد هذا الجمع الكبير ذاع صيت الشيخ الحداد، وانتقل في كل من الجزائر وتونس والمغرب واعتبروه سلطان الرحمانيين، وبعد نجاح الحشد قام عزيز الحداد بتنظيم محكم للجيش وقسمه إلى ثلاثة أقسام، وجعل الجزء الأكبر تحت إمارته ويتكون هذا الجزء من 5000 محارب، وجزء آخر جعله تحت قيادة أخيه محمد الحداد يتكون من 4000 محارب، كما أحدث فرقة خاصة للاستخبارات وجمع المعلومات جعلها بقيادة الشيخ عبد العزيز، كما وضع فئة أخرى من أجل الدعاية والإعلام وكلفهم بجمع شتات النّاس والدعاية للثورة، وإرسال الرسائل إلى شيوخ القبائل الأخرى مثل ابن علي شريف باشا بمنطقة "شلاطة" ومحمد أمزيان ابن الموهوب صاحب زاوية العراش اللذان كانا يشكلان عقبة كبيرة للثورة كونهما معارضان لها ومواليان للسلطة الفرنسية، إلا أنهما لم يلبيا طلب الشيخ الحداد بالالتحاق، وقاموا بطلب النجدة من القوات الفرنسية ذلك ما جعل الثوار يعاقبونهم بتخريب مناطقهم بعد يومين من إنذارهم،

وبعد الانتهاء من منطقة العراش توجه الشيخ عزيز الحداد إلى بجاية، وقام بمحاصرتها يوم 21 أفريل إذ بلغ إلى مشارف بجاية واصطدم بطلائع القوات الفرنسية، وبهذا بدأ حصار مدينة بجاية، وبعد هذا الصدام تراجعت نصف القوات الفرنسية إلى الجزائر لحمايتها من الزحف القادم من مناطق حجوط وشرشال والمتجهة إلى حصار العاصمة، فقد كادت مجموعة منهم أن تدخل العاصمة لو لا وصول المدد العائد من بجاية، أما عزيز الحداد كان قد خاض عدد من المعارك في شرق العاصمة منها معركة ثنية الغنم ومعركة "عموشة" ومعركة جبل مونتانو، ثم انتقل الثوار إلى منطقة الحامة يوم 26 ماي، والتقى الشيخ الحداد بصهره عمر بوعرعور الذي قدم له تقريرا مفصلا على الأوضاع المشهودة هناك.

وفي خضم الأوضاع الجديدة أعاد الشيخ عزيز الحداد تنظيم قواته إذ قسمها إلى خمسة كتائب:

الكتيبة الأولى: وجهها إلى منطقة بني عزيز لإخضاع المتمرد بن حبيلس، وقد نجحت هذه المهمة.

الكتيبة الثانية والثالثة: وجههما إلى بني فوغال.

الكتيبة الرابعة والخامسة: وجهها للالتفاف حول بني فوغال عبر منخفض دار الوادي، وشهدت هذه الفرق خلال خمسة أيام معارك مختلفة كانت ناجحة كلها، فقد قام الثوار بإحراق كل مراكز الأوروبيين والموالين لهم، وعملوا على قطع الإمدادات عن المعمرين، ثم قسم الجيش إلى نصفين نصف قاده عزيز الحداد واتجه لمحاصرة سطيف، والجزء الثاني قاده القريشي اتجه لمحاصرة جيجل، إلا أن جيجل كانت صعبة المنال فقد تعرض الثوار للقصف من القوات البحرية الفرنسية والتي كبدتهم خسائر فادحة كما تمت محاصرتهم من القوات البرية القادمة من العاصمة الجزائر، وذلك ما زاداهم خسارة وجعلهم ينسحبون، أما في قرى سطيف فقد قامت السلطات الفرنسية بحرق القرى وتدميرها للقضاء على أهاليها العزل، وانتهجوا سياسة التخريب المعهودة من قبلهم وتضاعفت القوات الفرنسية، والموالين لهم من المناطق المختلفة فالتقى الجمعان في كدية البيضاء، وكان التفوق لصالح القوات الفرنسية عدة

وعتادا، مما جعل الغلبة تكون لهم فقد تكبد عزيز الحداد خسائر كبيرة مما جعله ينسحب إلى المعسكر الذي يقبع فيه القائد علي أقاسي، الذي كان هو الآخر شبه محطم، كما قامت القوات الفرنسية بعد هذه المعركة بإحراق ما تبقى من القرى وقتل العزل والأبرياء، وإحراق كل ممتلكاتهم وكانت حرب إبادة جماعية فبعد هذه الفاجعة التي ألمت بالشعب البريء، لم يكن من خيار أمام عزيز الحداد إلا الاستسلام مضحيا بنفسه من أجل إنقاذ الأهالي الجزائريين البسطاء، كما فعل الأمير عبد القادر قبله مضحيا بنفسه مقابل أن يحيى الشعب البسيط المغلوب على أمره، والذي كان مساندا له طول مدة مقاومته ولو بالقليل وهذا هو نهج الأبطال دوما.

لقد استسلم عزيز الحداد يوم 30 جوان في معسكر آيت هيشم ومعه بعض قادته الذين كانوا معه، وتمّ اعتقاله رفقة أخيه الشيخ محمد أمقرآن في بجاية يوم الاثنين 02 جويلية 1871م، ووضعوا جميعا في السجن وحكم على عزيز الحداد بالنفي إلى كاليدونيا الجديدة رفقة القادة الآخرين المشاركين في هذه الثورة، كما تمّت مصادرة جميع ممتلكاتهم.[34]

4.الرد الفرنسي على الزوايا:

بعد المقاومات الشرسة التي لاقتها فرنسا من الطرق الصوفية بمختلف زواياها عملت على إيجاد حلول جديدة للقضاء على هذه الزوايا وكسر شوكتها، ولكن دون اللجوء إلى السلاح النّاري بل استخدمت السّلاح الفكري، فقد عمدت إلى قطع مصادر التمويل للزوايا، والتي تأتي معظمها من الأوقاف والحبوس الإسلامية خاصة بعد الحالة المزرية التي شهدها الجزائريين بعد فشل المقاومات الشعبية في أواخر سنة 1830م، إذ أصدر الجنرال "دي بورمون" قرار يقضي بمصادرة الأوقاف الإسلامية مع حق التصرف بالمنشآت الدينية مثل الزوايا والمساجد،[35] وهذا ما كان له الأثر البالغ على الزوايا إذا أصبحت الأملاك الوقفية تسمى الأملاك الضائعة، وتم تقسيمها على الشخصيات الفرنسية النافذة، ففي منطقة الجزائر العاصمة كان بها حوالي 167 مؤسسة إسلامية، منهم 109 مسجد، 32 ضريح و13 زاوية، إلا أنّه بعد صدور هذا القرار وتنفيذه من طرف السلطة الفرنسية، لم يبقى منها إلا زاوية واحدة بعد سنة 1846م،[36] كما تذكر المصادر أيضا أن مدينة قسنطينة كان فيها

حوالي 95 مسجد وزاوية، لم يبقى منها سوى 32 مسجد والباقي تم الاستيلاء عليه من طرف السلطات الفرنسية وتمّ تحويلها إلى كنائس أو مستشفيات أو منشآت للتبشير.[37]

وقد مرت الزوايا بعد قرار "دي بورمون" بموقف محرج وضغط رهيب وأزمة خانقة في مجال التمويل، فقد قطعت فرنسا الرابط الأقوى والأساسي في التمويل، كما عملت على مراقبة شيوخ الزوايا إذ أنه في بعض المراحل قامت حتى بسجن الشيوخ وتعذيبهم كما حدث مع شيخ الزاوية العثمانية الشيخ عبد الرحمن العثماني الذي اعتقل سنة 1957م، وتعرض للتعذيب والاستنطاق وتم تعطيل عمل زاويته ونشاطها وفرض الحصار والمراقبة عليها.[38]

كما عملت أيضا على استمالة بعض الزوايا لتجنيدها في خدمة الثقافة الفرنسية مقابل إغراءات مادية ومالية، حيث اقترحت فرنسا استحداث لقب شيخ الإسلام في الجزائر وجعلت له اعتبارا خاصا، وقد رشحوا شيخ الطريقة التيجانية ليكون له هذا المنصب، ويكون في رتبة تفوق رتبة كل الموظفين الرسميين من خلفاء وأغوات وقياد في الإدارة الفرنسية،[39] كما عمدت أيضا إلى خلق النزاعات بين الزوايا وإثارة قضايا دينية من أجل التشكيك في عقيدة الطلبة والشعب الجزائري، ومن أبرز هذه القضايا الجهر بالبسملة في الصلاة، فهذه مسألة فقهية مختلف فيها بين المذاهب على قولين: منهم من قال بالجواز ومنهم من قال بعدمه ولابد من قراءة البسملة سرا حيث اتخذت منها فرنسا ذريعة وقامت بخلق فتنة بين المذاهب الفقهية خاصة في أواسط الطلبة الشباب.[40]

ومن أخطر الأساليب التي انتهجتها السلطات الاستعمارية لإضعاف الزوايا ومحاولة تقويض نشاطها نجد أسلوب الحركة التبشيرية، التي قادها رجال الدين القادمين من المؤسسات الدينية المسيحية من كل أوروبا، والتي أنشأت خصيصا من أجل تنصير الشعب المسلم في كل إفريقيا وليس الجزائر فقط، وكانت هذه الحملات والرحلات بقيادة " الكاردينال لافيجري " الذي كان حاقدا على الإسلام والمسلمين وجاء عازما على استقصاء الدين الإسلامي من الجزائر.[41]

خاتمة:

إن شعلة المقاومة لم تخمد يوما في الجزائر طوال فترة الاحتلال الفرنسي، فبعد استسلام الأمير عبد القادر وتفكك جيشه، ظهرت الطرق الصوفية من جديد لإحياء الكفاح والمقاومة، وقد كانت حصنا منيعا وإن لم تنجح في إيقاف الغزو الفرنسي إلا أنها أخرته لما يقارب قرن من الزمن، وفي الأخير نستنتج ما يلي:

أولا: أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، فقد قدمت الطرق الصوفية أروع الأمثلة على الصمود، لاسيما الطريقة الرحمانية التي كانت سباقة إلى حمل السلاح والذود عن شرف هذه البلاد الطاهرة، وهذا الشعب العربي المسلم الذي ابتلي بكل أنواع الظلم والجور، فما وهن لما أصابه وما استسلم للعدو، وما ترك سبيلا ولا بابا إلا طرقه في سبيل الوصول إلى الحرية وإعلاء كلمة الدّين.

ثانيا: أن مبادئ الطريقة الرحمانية ظلت ثابتة ورافضة للاستعمار بكل أنواعه وانتهجت كل أشكال المقاومة الممكنة لإظهار هذا الرفض ومحاولة التخلص من ذل العبودية.

ثالثا: إقرار المستعمر الفرنسي بأهمية الطريقة الرحمانية في مجابهة التبشير والتنصير ودورها في نشر وإحياء الدين الإسلامي واللغة العربية في الجزائر.

رابعا: لطالما كانت الجزائر حتفا للاستعمار من قديم الزمان وسالف العصر والأوان فلم يعرف في التاريخ أن الجزائر استسلمت وقبلت الذل والهوان أو دام ضعفها.

خامسا: أن الشعب الجزائري عربي مسلم يرفض الدنيئة في دينه وعرضه وشرفه مهما كاد له الكائدون ومهما حاول معه الغافلون، وكان ولازال مقاوما مجاهدا رغم الظروف ورغم النكبات.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. العربية:

1. بن باديس (عبد الحميد)، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، الجزائر، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر: 2000.

2. بقطاش (خديجة)، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830- 1871، طبعة خاصة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية: 2013.

3. الجنحاني (الحبيب)، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي في القرن19، **مجلة الأصالة**، سبتمبر – أكتوبر:1973.

4. الجيلالي (عبد الرحمن)، تاريخ الجزائر العام، ج4، الجزائر، دار الأمة : 2009.

5. الحسني (علي رضا)، زاوية علي بن عمر طولقة–الجزائر، جمهورية سوريا العربية، الدار الحسينية للكتاب ص:60.

6. الحفناوي (محمد أبي القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فنتانة الشرقية في الجزائر:1906.

7. دبي (رابح)، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها 1830- 1962، **رسالة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية**، جامعة الجزائر2، الجزائر.

8. زوزو (عبد الحميد)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية: 2007 .

9. عاطف الزين (سميح)، الصوفية في نظر الإسلام – دراسة وتحليل –، ط 3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مدار الكتاب المصري، القاهرة: 1985.

10. سعد الله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 4، ط1، الجزائر، دار الغرب الإسلامي: 1998.

11. سعدي (مزيان)، النشاط التبشيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867 – 1892، الجزائر، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع: 2009.

12. بوعزيز (يحي)، ثورة البشاغا المقراني والشيخ الحداد 1871، عدد خاص مجلة البصائر، الجزائر.

13. العسلي (بسام)، جهاد الشعب الجزائري المقراني وثورة 1971 الجزائرية، ط1، بيروت لبنان، ريتاج للطباعة والنشر والتوزيع :1982.

14. فايد (بشير)، قادة ثورة المقراني والشيخ الحداد أمام محكمة الجنايات بقسنطينة سنة 1872م، **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية** ، ع :12 ،الجزائر، ديسمبر:2007 .

15. فركوس (صالح)، تاريخ الثقافة الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية 1830 – 1962، الجزائر ،أيدكوم للنشر والتوزيع: 2013.

16. القاسمي (عبد المنعم)، طبقات رجال الطريقة الخلوتية الرحمانية (الطريقة الرحمانية الخلواتية الأصول والآثار)، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف:2015.

17. بوكسيبة (محمد)، دور الطريقة الرحمانية في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية 1919 – 1962،إصدارات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائر: 2015.

18. لوصيف (فوزية)، الزوايا في الجزائر بين إرث التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح والتجديد، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر**،العدد 33، سبتمبر: 2014.

19. المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (كتاب الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية)، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ج2، الجزائر، المطبعة العربية:1931.

20. مقلاتي (عبد الله)، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر1830 - 1954، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية: 2014.

21. الميلي (مبارك)، رسالة الشرك ومظاهره، ط1،الجزائر، مكتبة النهضة: 1966.

ب. الفرنسية:

1. Depont (Octave) et Coppolani (Xavier): les confréries religieuses musulmanes , Alger, 1897.

2. Rin (Louis): Marabouts et khouan , Alger, 1884.

الهوامش:

[1]. محمد أبي القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فنتانة الشرقية في الجزائر:1906، ص:300.

[2].عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، الجزائر، دار الأمة: 2009، ص: 268 .

[3].عبد المنعم القاسمي ،طبقات رجال الطريقة الخلوتية الرحمانية، الجزائر ،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف:2015، ص: 33.

[4].مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ط1، الجزائر، مكتبة النهضة: 1966، ص: 242.

[5]. ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، الجزائر ،دار الغرب الإسلامي: 1998، ج 4، ص:253.

[6]. عبد الحميد زوزو، ثورة الأوراس 1879، الجزائر: 2011، ص: 100.

[7]. محمد بوكسيبة، دور الطريقة الرحمانية في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية 1919-1962، إصدارات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، الجزائر: 2015 ، ص: 271.

[9].محمد أبي القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، المرجع نفسه، ص:420.

[10]. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، الجزائر، دار الغرب الإسلامي: 1998، ج6، ص: 302.

[11]. سميح عاطف الزين، الصوفية في نظر الإسلام- دراسة وتحليل- ط3، دار الكتاب اللبناني، بيروت، مدار الكتاب المصري بالقاهرة: 1985، ص: 558.

[12] .Rin (Louis): Marabouts et khouan ;alger:1884.

* Depont (Octave) et Coppolani (Xavier): les confréries religieuses musulmanes , alger: 1897.

*عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع نفسه، ص: 258.

[13]. عبد المنعم القاسمي، طبقات رجال الطريقة الخلواتية الرحمانية، المرجع نفسه، ص: 33.

[14].مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ط1، الجزائر، مكتبة النهضة: 1966، ص: 100.

[15].توفيق المدني، كتاب الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والإجتماعية، الجزائر، المطبعة العربية:1931 ص:301.

[16].علي رضا الحسني، زاوية علي بن عمر طولقة- الجزائر، جمهورية سوريا العربية، الدار الحسينية للكتاب ص: 60 .

[17]. عبد المنعم القاسمي، الطريقة الرحمانية الخلواتية الأصول والآثار، المرجع نفسه، ص: 533.

[18].أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، دار البصائر، الجزائر، 2009، ج 2: ص : 93.

[19]. هوارية بكاي، دور الطريقة الرحمانية في المقاومة الشعبية بالجنوب الشرقي الجزائري، **مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة الوادي، ع5 ، جوان 2015، ص: 18.

[20]. فيم تيشرون، البلاغ الجزائري، العدد 72، جويلية: 1938، ص: 02.

[21]. رابح دبي، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها 1830. 1962، **رسالة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ص: 162.

[22]. صالح فركوس، تاريخ الثقافة الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية 1830 -1962، ص : 157.

[23].فوزية لوصيف، الزوايا في الجزائر بين إرث التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح والتجديد، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر** ،العدد 33، سبيتمبر 2014، ص: 08.

[24].عبد الحميد بن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، الجزائر، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار الجزائر: 2000، ص: 513.

[25]. مزيان سعدي، النشاط التبشيري للكاردينال لافجري في الجزائر 1867-1892، الجزائر، دارالشروق للطباعة والنشر والتوزيع: 2009 ص: 212.

[26]. راجع: مقال روبير أجيرون، هل لفرنسا سياسية قبائلية، **المجلة التاريخية**، أفريل – جوان: 1960، ص: 311.

[27]. عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع نفسه،ج 4، ص:253.

[28]. الحبيب الجنحاني، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي في القرن 19، **مجلة الأصالة**، سبتمبر- أكتوبر: 1973، ص: 29.

[29]. بسام العسلي، جهاد الشعب الجزائري المقراني وثورة 1971 الجزائرية، ط1 ، بيروت لبنان، ريتاج للطباعة والنشر والتوزيع: 1982، ص: 117.

[30]. يحي بوعزيز، ثورة البشاغا المقراني والشيخ الحداد 1871، **مجلة البصائر**، عدد خاص، الجزائر، ص: 220.

* عبد الله مقلاتي، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1954، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية: 2014، ص:197.

[31]. بسام العسلي، جهاد الشعب الجزائري المقراني وثورة 1971 الجزائرية، ط1 ، بيروت لبنان، ريتاج للطباعة والنشر والتوزيع: 1982، ص: 117.

[32]. بسام العسلي، جهاد الشعب الجزائري وثورة المقراني 1971، المرجع نفسه، ص: 140.

[33]. يحيى بوعزيز، ثورة 1871، المرجع نفسه، ص: 235.

[34]. بشير فايد، قادة ثورة المقراني والشيخ الحداد أمام محكمة الجنايات بقسنطينة سنة 1872م،**مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**، ع :12، الجزائر، ديسمبر:2007، ص ص:160 – 161. أنظر أيضا: يحي بوعزيز، ثورة الباشاغا المقراني والشيخ الحداد 1871، المرجع السابق، ص:280.

[35].عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ج:3، ص:443.

[36].أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830 - 1954، ط1، ج:6، الجزائر، دار الغرب الإسلامي: 1998، ص : 305 .

[37]. لوصيف فوزية، الزوايا في الجزائر بين التاريخ الاستعماري وضرورة الإصلاح والتجديد، **مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**،ع :33، سبتمبر:2014 ، ص:6.

[38]. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق، ص: 176.

[39]. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج6 ، المرجع نفسه، ص:303.

[40]. عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية: 2007 ، ص: 132 .

[41]. خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 – 1871، طبعة خاصة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية: 2013، ص: 101.